

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يلتهى به عن العمل الصالح كقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون } ولهذا قال تعالى ههنا : { فاحذروهم } قال ابن زيد : يعني على دينكم وقال مجاهد { إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم } قال : يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف الصيدلاني حدثنا الفريابي حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية { يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم } قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية { وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم } وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث إسرائيل به وروي من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة موله سواء .

وقوله تعالى : { إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم } يقول تعالى : إنما الأموال والأولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه وقوله تعالى : { والله عنده } أي يوم القيامة { أجر عظيم } كما قال تعالى : { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب } والتي بعدها وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة : سمعت أبا بريدة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين بهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : [صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما] ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به وقال الترمذي : حسن غريب إنما نعرفه من حديثه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقال لي : [هل لك من ولد ؟] قلت : غلام ولد لي في مخرجي إليك من ابنة حمد ولوددت أن بمكانه سبع القوم

فقال لي : [لا تقولن ذلك فإن فيهم قرّة عين وأجرا إذا قبضوا] ثم قال : [ولئن قلت ذلك إنهم لمجينة محزنة] تفرد به أحمد وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبي عن عيسى عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [الولد ثمرة القلوب وإنهم مجينة مبخلة محزنة] ثم قال : لا نعرفه إلا بهذا الإسناد وقال الطبراني : حدثنا هاشم بن مزيد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزا لك وإن قتلك دخلت الجنة ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكك يمينك] .

وقوله تعالى : { فاتقوا الله ما استطعتم } أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة B قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه] وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله : { اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } قال : لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتفرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين { فاتقوا الله ما استطعتم } فنسخت الآية الأولى وروي عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى : { واسمعوا وأطيعوا } أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتكم .

وقوله تعالى : { وأنفقوا خيرا لأنفسكم } أي وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والآخرة وإن لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والآخرة وقوله تعالى : { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون } تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته وهنا وفي الحمد والمنة وقوله تعالى : { إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم } أي مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين أن الله تعالى يقول : من يقرض غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة { فيضاعفه له أضعافا كثيرة } { ويغفر لكم } أي ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال تعالى : { والله شكور } أي يجزي على القليل بالكثير { حلیم } أي يصفح ويغفر ويستتر ويتجاوز عن الذنوب والزلات

والخطايا والسيئات { عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم } تقدم تفسيره غير مرة آخر
تفسير سورة التغابن و الحمد والمنة